

سوسيولوجية التفاعل بين الأسرة والمدرسة العمومية في منطقة بجاية

بسعي رشيد

جامعة عبد الرحمن ميرة - بجاية

ملخص: يهدف هذا البحث إلى دراسة تفاعل الأسرة بالمدرسة في مجتمعنا الجزائري من خلال القيام بدراسة سوسيولوجية كيفية لمجموعة من الأسر في منطقة حضرية في ولاية بجاية. تكمن أهمية هذا الموضوع من الناحية السوسيولوجية لكونه يعالج إشكالية العلاقة المعقدة بين الأسرة والمدرسة من أجل وصفها وتفسيرها في الواقع ومعرفة أشكالها وإبراز انعكاساتها المختلفة على المستوى المدرسي والمهني والاجتماعي للأفراد. إن هذا البحث يستجيب لما نلاحظه من نقص على مستوى الدراسات السوسيولوجية الجزائرية التي نحن بحاجة إليها لفهم التفاعلات الناجمة عن علاقة الأسرة بالمدرسة خاصة في المجال الحضري.

الكلمات المفتاحية: الممارسات التربوية - الاستثمار المدرسي - العلاقات الأسرية - المجال الحضري.

Abstract: This research aims to study the interaction of the family in the school in our Algerian society; we will try through a qualitative sociological approach to studying families' interactions with school in the region of Bejaia. The sociological interest of this study is to treat and describe the complex relationship between these two institutions while showing their influences on academic, professional and social actors. This research addresses so that we felt as a need, or even a lack, in Algerian sociological studies on family-school interaction, especially in the urban sector.

Keywords: Educational practices - School investment - Family relationships - Urban area.

مقدمة

إن تفاعل الأسرة بالمدرسة ليس موضوعا جديدا في حقل علم الاجتماع التربوية، حيث أن معظم الظواهر التي يهتم بها هذا العلم تندرج ضمن العلاقة التفاعلية بين الأسرة والمدرسة باعتبارها الطرفان الرئيسيين في عملية التنشئة الاجتماعية، هاتين المؤسستين تشكلان في الحقيقة علاقة وطيدة يكون التلميذ سببا في حدوثها لأنه يعيش ويقضي وقتا معتبرا فيهما. نحن ندرك بأنه من الصعب جدا دراسة التنظيم الذي ننتمي نحن إليه لأننا نمثل طرفا فاعلا فيه ولا يمكن فهم ما يحدث في الأسرة من الناحية التربوية دون الاهتمام بما يحدث في الوسط الاجتماعي الذي تنتمي إليه لأنها نتاج اجتماعي تعكس صورة المجتمع الذي تتواجد فيه، فالأسرة تعيش وتتأثر بالظروف والتحول التي يعرفها المجتمع.

إذا كانت الأسرة تمثل نسق اجتماعي مصغر ينمو فيه الطفل ويستمد فيه تربيته ويتعلم فيه القواعد الأولى التي تحدد علاقاته الاجتماعية واتصالاته مع الأشخاص الآخرين عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية، فإن المدرسة هي بمثابة البيئة الثانية للطفل حيث جاءت بعد الأسرة لتكمل عمل هذه الأخيرة وتعتبر كذلك الوعاء الذي تصب فيه مختلف الممارسات التي تقوم بها الأسرة من الناحية التربوية والمدرسية، إذ ينتقل إليها الطفل ليكتشف بيئته الجديدة ويفرز فيها ما يحمله من مكتسبات ومؤهلات ويتعلم فيها العديد من الأمور التي تساعد في اندماجه الاجتماعي (أحمد السيد، 1998). لا يمكن إذن دراسة الأسرة خارج الواقع السوسيولوجي الذي تتواجد فيه من حيث بنائه والظروف الاقتصادية والثقافية المحيطة به ونسق القيم التي تشكله والتفاعلات الموجودة فيه وتعتبر المدرسة جزءا منها. بما أن موضوع بحثنا يندرج ضمن العلاقة التفاعلية بين الأسرة والمدرسة في منطقة بجاية، سوف نحاول دراسة هذه العلاقة بواسطة عدة متغيرات من أجل تحديد طبيعتها والعوامل المؤثرة فيها من جهة وكذلك إبراز انعكاساتها المختلفة على المستوى المدرسي والمهني والاجتماعي للأفراد من جهة أخرى.

1/ إشكالية الدراسة: تنطلق إشكالية بحثنا من فكرة رئيسية مفادها أنه يوجد نوع من التناقض في واقع الأسرة الجزائرية بصفة عامة والأسرة في منطقة بجاية على وجه الخصوص في تعاملها وعلاقتها بالمدرسة: من جهة، نرى بأن هذه العلاقة لا تبدو جيدة حسب تقارير ونتائج بعض الدراسات المحلية التي أُقيمت حول كيفية تصور الآباء للمدرسة العمومية والمستقبل أبنائهم فيها وكذلك ما نلاحظه نحن كفاعلين في الميدان، يبدو أن الأولياء يظهرون نوع من فقدان الثقة فيما تقدمه المدرسة ويظهر ذلك من خلال انتقادهم المتكرر لها. يوحي ذلك بأن المدرسة لم تعد محل اهتمام الأولياء ولا يثقون بها بصفة كاملة كوسيلة للارتقاء

الاجتماعي بالنسبة لأبنائهم، بل ربما يفضلون طرق أخرى للنجاح بالنسبة لأبنائهم دون المرور بالمدرسة. لكن، من جهة أخرى لاحظنا بأن الأسرة بفضل ما تقوم به من ممارسات تربوية تجاه الأبناء من الناحية الدراسية يعبر حقيقة عن مدى استعدادها وتجنيد القوي للاستثمار في تدرس الأبناء.

بمعنى آخر، تحاول بكل ما في وسعها وبكل الوسائل التي تملكها أن تحقق نجاح مدرسي واجتماعي وأن تضمن مستقبلا زاهرا لأفرادها، حيث يعمل الآباء على الاستثمار بشكل دائم وبطريقة واعية في تعلم الأبناء - حسب مستواهم الثقافي- من أجل مساعدتهم للتفوق دراسيا مهما كلفهم ذلك من وقت ومال (أبو حوسة، 2001). فالمدرسة بالنسبة لهؤلاء الآباء هي محل اهتمام كبير من خلال الآمال العريضة التي يعلقها على عاتق المؤسسة التربوية تترجم في الحقيقة ربما بطريقة كامنة مجموعة من الأفعال والرهانات ترمي من خلالها الأسرة إلى الحفاظ على أهدافها ونفوذها في الفضاء الاجتماعي.

يدل هذا الطرح على وجود فرق بين ما يقوله الآباء من خلال مواقفهم وتصوراتهم حول المدرسة من جهة وما يفعلونه في الميدان على مستوى ممارساتهم التربوية اليومية من جهة أخرى. يحتاج هذا التناقض إلى دراسة ميدانية من أجل فهمه وتفسيره وعلى هذا الأساس نريد أن نعرف ماذا يحدث فعلا داخل الأسرة في منطقة بجاية في الميدان التربوي وكيف تتعامل مع النسق المدرسي من خلال تناولها كموضوع لدراسة سوسيولوجية.

وفي الأخير نريد أن نختتم إشكالية بحثنا بمجموعة من التساؤلات سنحاول الإجابة عليها من خلال هذه الدراسة وهي : كيف تبدو طبيعة علاقة الأسرة بالمدرسة في منطقة بجاية؟ وإلى أي مدى يمكن القول بأن الأسرة في هذه المنطقة من خلال مواقفها حول المدرسة قد فقدت حقيقة آمالها في المدرسة العمومية ودورها في الحراك الاجتماعي؟ أم أنها بالعكس ربما تستثمر بصفة مستمرة في تدرس أبنائهم من أجل تحقيق الارتقاء الاجتماعي؟ ثم كيف ينظر الآباء في الوقت الراهن إلى العلم والتربية والتعليم بصفة عامة؟ وكيف يؤثر ذلك على اتجاهات وتصورات الأبناء بالنسبة لمستقبلهم الدراسي والمهني والاجتماعي؟

2/ فرضيات الدراسة

• الفرضية الأولى

تعطي الأسرة من خلال تمثاتها الاجتماعية حول التربية والتعليم، قيمة للمدرسة وتعلق آمالا كبيرة عليها، كوسيلة لتحقيق الارتقاء الاجتماعي، يظهر هذا الاهتمام، من خلال التجنيد والاستثمار القوي في تدرس الأبناء.

● الفرضية الثانية

تسعى الأسرة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف والمشاريع التربوية، من أجل ضمان مستقبل أبنائها، والتي تسمح لها بإعادة انتاج مكانتها الاجتماعية في الفضاء الاجتماعي، بواسطة الاستثمار في الميدان التعليمي.

3/ المنهجية المتبعة في الدراسة: للإجابة عن الإشكال المطروح سابقا، قمنا باختيار المنهج الكيفي الذي يبدو مناسباً لمعالجة مثل هذه المواضيع، لأننا نريد فهم بعض الجوانب الخاصة بالتربية في الأسرة الجزائرية وفي منطقة بجاية على وجه الخصوص وكذلك إبراز طبيعة علاقتها بالنسق المدرسي.

1.3/ تقنية المقابلة: كان استعمالنا للمنهج الكيفي من خلال تطبيق تقنية المقابلة وذلك بتنظيم مجموعة من الاستجابات والمقابلات مع الأولياء حول ممارستهم في الجانب التربوي مسلطين الضوء على خصائص الأسرة في منطقة بجاية فيما يخص طريقة تعاملها مع المدرسة وما يترتب عنها من انعكاسات على المستوى المدرسي والمهني والاجتماعي لأفرادها. استعملنا في هذا العمل المقابلة الشبه المباشرة، لأنها تقنية تركز على الفهم وهي مناسبة للتحقيق مع الأولياء بطريقة كيفية حول أفعالهم وأهدافهم التربوية داخل الأسرة وكذلك دراسة تمثالتهم وآرائهم وتصوراتهم ومواقفهم تجاه المدرسة والتربية والعلم بصفة عامة (ترجمة عن: Paille & Mucchielli, 2008).

كان الهدف من استجواب أولياء التلاميذ بصفة شبه مباشرة هو من أجل إعطاء لهم فرصة وحرية أكبر للتعبير عن أفكارهم ومواقفهم والإجابة عن تساؤلاتنا التي نريد من خلالها الوصول إلى معرفة خصائص البيئة الاجتماعية والثقافية التي تعيش فيها هذه العائلات. تجدر الإشارة إلى أن الهدف أيضا من مقابلة الأولياء هو الكشف عن مدى وجود تناقض بين ما يصرحون به في الميدان التربوي (آرائهم ومواقفهم) وبين ما يفعلونه حقيقة في الواقع (ممارستهم وإستراتيجياتهم) من جهة، ثم تفسير هذا التناقض كمحاولة لفهم كيفية تعاملها مع النسق المدرسي من جهة أخرى.

2.3/ تقنية الملاحظة:

أما عن الملاحظة التي استعملناها في بحثنا، فهي غير رسمية، وإنما هي تقنية ثانوية ومدعمة من أجل الحصول على بعض المعطيات والمعلومات، التي لم نستطع الحصول عليها عن طريق مقابلة الأولياء. فكانت ملاحظتنا بسيطة وعامة وشاملة، حيث قمنا باستعمالها أثناء تواجدها في منزل المبحوث لإجراء المقابلات، وكان الهدف من توظيفها، هو بناء فكرة واقعية عن ميدان بحثنا، فلم تكن مقيدة بدليل أو تصنيف معين، بل حاولنا تسجيل على الورق ما لاحظناه من سلوكيات وممارسات أفراد الأسرة أثناء تواجدها في منزل الأولياء، وهذا بعد موافقتهم. كان الهدف من تقنية الملاحظة هو محاولة الكشف عن مدى وجود علاقة منطقية أو شكل من أشكال التطابق بين ما يقوله، وما يفعله الأولياء من الناحية التربوية. بمعنى آخر، نريد مقارنة تصريحات الأولياء من خلال مواقفهم حول تربية الأبناء، وما نلاحظه فعلا في الواقع من أحداث ملموسة داخل الأسرة، من خلال ممارساتهم اليومية (وذلك أثناء إجراء المقابلة معهم).

سمحت لنا هذه الملاحظة بأخذ نظرة عامة عن الأسر التي قمنا باستجوابها، حيث ساعدتنا كثيرا في معرفة خصوصيات الأسرة، من حيث ممارساتها التربوية بطريقة ملموسة وواقعية، وقمنا بزيارة المنزل بكل راحة بعد موافقة الأولياء، والتعرف على كل أفراد الأسرة، وتبادلنا الحديث معهم في عدة أمور تخص تدرس الأبناء، كما حاولنا باستمرار توسيع دائرة النقاش مع الأبناء خارج إطار المقابلة الرسمية مع الآباء. لقد سمحت لنا هذه التقنية بملاحظة مجموعة من التفاعلات بين الآباء والأبناء قبل وأثناء إجراء المقابلة فيما يتعلق بالحياة اليومية للأسرة، كمرقبة تصرفات الآباء فيما يتعلق بطريقة معاملة الأبناء، واللغة المستعملة في الحديث بين أفراد الأسرة، والعلاقات بين الآباء والأبناء، وكذلك طريقة اللباس والأكل ومشاهدة التلفاز والوقت المخصص للمراجعة في المنزل واستعمال الانترنت. كل هذه المعلومات تم توظيفها عند تحليل محتوى المقابلات.

3.3/ تقنية تحليل المحتوى

قمنا بتطبيق تقنية تحليل محتوى المواضيع (l'Analyse Thématique)، لأننا منذ البداية وأثناء بنائنا لدليل المقابلة اعتمدنا على جملة من المواضيع الرئيسية، التي يتم من خلالها استجواب المبحوثين.

ومن أجل التطبيق الحسن لهذه التقنية، أخذنا بعين الاعتبار في عملنا ثلاثة عناصر أساسية في تحليل المحتوى، والتي أكد عليها علماء الاجتماع وبعض المختصين في المنهجية، وهي أولاً طبيعة المادة الخامة المتوفرة للتحليل، والتي تتمثل في الخطاب الصوتي للمبحوثين، حيث قمنا بتحويل الصوت إلى جملة، أي كتابة وترجمة الخطاب إلى نص كتابي. العنصر الثاني يتمثل في طريقة تدوين المواضيع، حيث استخدمنا أوراق جانبية صغيرة، وسجلنا فيها مقتطفات من النص والتي لها صلة مباشرة مع أحد مواضيع التحليل. أما العنصر الثالث يتمثل في إجراءات بناء الموضوع وذلك بالاعتماد على قائمة من المواضيع تم بناؤها قبل إجراء المقابلة لهدف تنظيم وتوجيه البحث وفقاً للأهداف المسطرة في بداية العمل.

مر تحليل المحتوى عبر مرحلتين: أولاً، مرحلة التحليل العمودي لمحتوى المقابلات وثانياً مرحلة التحليل الأفقي أو العرضي لمحتوى المقابلات. بعد ذلك انتقلنا إلى الخوض في إجراءات بناء شجرة المواضيع «l'arbre thématique» وذلك بالاعتماد على نتائج المرحلة السابقة، حيث قمنا بمقارنة فئات التحليل المنبثقة من إجابات المبحوثين بقائمة من المواضيع، التي تم بناؤها قبل إجراء المقابلة لمعرفة مدى انسجامها فيما بينها، واختيار بعض المقتطفات من خطاب المبحوثين لتأكيد الفكرة أثناء القيام بالتحليل وتقديمها كأدلة وحجج. انطلاقاً من المواضيع الرئيسية التي تم اختيارها في دليل المقابلة تحصلنا على مواضيع فرعية، والتي بدورها انقسمت إلى فئات التحليل التي تم بناؤها من أجوبة المبحوثين.

4/ مكان إجراء الدراسة: وقعت هذه الدراسة على ولاية بجاية التي تمثل الإطار المكاني لدراستنا، حيث وقع اختيارنا على مجموعة من الأسر في مناطق متفرقة من ولاية بجاية لعدة أسباب، منها معرفتنا الميدانية للمكان نظراً لأننا نسكن في هذه المنطقة حيث نملك معلومات كثيرة عن مميزات وطبيعة الأسرة في هذه المنطقة ونحن على دراية بالمحيط الاجتماعي لهذه العائلات والواقع اليومي الذي تعيشه، وهذا ما ساعدنا لإجراء المقابلات مع الأسر بحكم ما نملكه من خبرة في التعامل مع سكان المنطقة في العديد من المناسبات. حاولنا استعمال شبكة علاقاتنا الاجتماعية (الجيران والأصدقاء والأقارب وسكان الحي) من أجل التقرب من المجموعة المستهدفة بالدراسة واستجواب الأولياء بطريقة ناجعة. كما أن الرغبة في القيام بدراسة سوسيولوجية في هذه المنطقة هي التي حفزتنا لاختيار مجموعة من الأسر لهدف دراستها لاسيما أن الدراسات السوسيولوجية حول هذه المنطقة هي قليلة جداً. كذلك من بين الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذه المنطقة، كونها ولاية سياحية تستقطب الكثير من العائلات وتصنف ضمن المدن التي تمتاز بكثافة

سكانية معتبرة وحركية ديموغرافية سريعة. تعرف المنطقة بتنوع وتباين تشكيلتها السكانية من حيث المستوى الثقافي والاجتماعي والطبقي وتعتبر كذلك مكانا لإنتاج بعض القيم وتلاقي مختلف الممارسات المتباينة اجتماعيا وثقافيا وحتى لغويا بالنظر إلى تلك اللامساواة الشاسعة التي تتميز بها هذه المدينة في عدة نواحي. كما أن ولاية بجاية معروفة بتنوع سكانها ودرجة الانفتاح والتجديد الذي تعرفه المنطقة في عدة نواحي، فهي تحمل كل الصفات الموجودة في المدن الكبرى تاريخيا واقتصاديا وثقافيا. كل هذه الخصائص جعلت من هذه المدينة مكانا لتشكيل مجموعة من الممارسات والاستراتيجيات التربوية الخاصة بالأسرة والتي تبدو في بعض الأحيان متباينة ومتناقضة جعلتنا نولي اهتماما بالغا لتفسيرها.

5/ تقديم العائلات المستجوبة: قمنا باختيار مجموعة من الأسر بلغ عددها 20 أسرة غير متجانسة في خصائصها الثقافية والاجتماعية، حيث أردنا أن تكون هذه الأسر تمثل العديد من مناطق ولاية بجاية. كما أنها تحمل بعض المواصفات التي نريدها أن تتوفر فيها وهي أن يكون لديها على الأقل شخص واحد يزاوّل الدراسة على مستوى البكالوريا وأن تكون هذه الأسر تمثل مختلف الشرائح الاجتماعية والتي تنتمي إلى أوساط اجتماعية ليست بالضرورة متجانسة.

أما عن أسباب اختيار الأسر التي لديها أبناء متدرسين على مستوى البكالوريا لأن على هذا المستوى تظهر طموحات وانتظارات للأسرة كبيرة في الميدان الدراسي، حيث تعمل الأسرة بفضل ممارساتها التربوية بالاستثمار في هذه المرحلة الحاسمة في المسار الدراسي للتلميذ أين يكون الحرص من طرف الأولياء أكبر لأن النجاح في امتحان البكالوريا يمثل رهان حقيقي لكل الأسرة نظرا للقيمة الرمزية التي تحضى بها شهادة البكالوريا في المجتمع. بعد ذلك تم الاتصال بالأسر المقصودة بالدراسة بمساعدة الأصدقاء والجيران وعن طريق شبكة علاقاتنا الاجتماعية من أجل إجراء المقابلات بصفة رسمية، وقد تم تشخيصها وفق المعلومات والمعطيات التي تحصلنا عليها من خلال مقابلة المبحوثين.

6/ عرض نتائج الدراسة: بما أن موضوع بحثنا يندرج ضمن العلاقة التفاعلية بين الأسرة والمدرسة، نريد من خلال تحليل محتوى المقابلات التي أجريت مع الأولياء معرفة كيفية تعامل الأسرة في منطقة بجاية مع المدرسة وما هي الاستراتيجيات التي تحرك هذه العلاقة وطبيعتها والعوامل المؤثرة فيها. يمكن القول بأن الأسرة تتخذ مجموعة من الممارسات والاستراتيجيات التربوية أثناء تفاعلها مع النسق المدرسي ترمي من خلالها إلى الإستحواذ على أكبر جزء من الرأسمال المدرسي الموجود في المؤسسة التربوية. يحدث ذلك بطرق

متباينة، حيث أن كل أسرة لديها طريقتها الخاصة في التعامل مع الرهان المدرسي مما يدل على وجود أفعال تربوية مختلفة مرتبطة بالخصائص الثقافية والاجتماعية لكل أسرة (حداب، 1998).

إن الوظيفة التربوية للأسرة في مجتمعنا تغيرت كثيرا مقارنة بالماضي حيث أن هناك تحول في الأدوار والوظائف الخاصة بأفراد الأسرة. هذا التحول في الوظائف يترجم في الحقيقة مدى وعي الأسرة بضرورة اهتمامها بالأبناء من الناحية التربوية والدراسية، ربما أكثر من أي وقت مضى بالنظر إلى وجود مجموعة من الرهانات ملائمة للأسرة من أجل الاستثمار فيها لضمان مستقبل أبنائها والرفع من مستوى ومكانة الأسرة. كل هذه الأمور أحدثت تغييرات على مستوى تصورات ومواقف الآباء تجاه التربية. سنحاول إذن وصف ما يحدث في الأسرة في منطقة بجاية من الناحية التربوية، وما يوجد حقيقة في الواقع (من حيث علاقتها بالمدرسة) وما تغير مقارنة بالماضي فيما يخص أفعالها التربوية عن طريق دراسة عدة متغيرات سوف نستعرضها من خلال خمس مواضيع مقترحة للتحليل وهي:

- ✓ طبيعة علاقة الأسرة بالمدرسة في منطقة بجاية
- ✓ هل الأولياء يشاركون في مختلف النشاطات التي تنظمها المدرسة؟
- ✓ مكانة المدرسة العمومية عند الأسرة ومدى اهتمام هذه الأخيرة بتعليم الأبناء
- ✓ خطاب الأسرة حول واقع المدرسة الحالية مقارنة بوضعها في الماضي
- ✓ تمثيلات ومواقف الأولياء حول التربية والتعليم والعلم بصفة عامة

1- طبيعة علاقة الأسرة بالمدرسة في منطقة بجاية

نريد من خلال تحليل هذا الموضوع أن نعرف طبيعة العلاقة الممكنة بين الأسرة والمدرسة وكيف تظهر في الواقع وكذلك مميزاتها من حيث اتصال الأولياء بالمدرسة. بعد تحليل محتوى المقابلات مع الأولياء بخصوص علاقتهم بالمدرسة تبين لنا بأن الأغلبية منهم لديهم علاقات جيدة وقوية مع المؤسسة التربوية سواء مع

الادارة أومع المراقبين أو مع الأساتذة. هذه العلاقة يسودها الاحترام المتبادل خاصة إذا كانت الأمور تمشي على ما يرام كما أكده أحد المبحوثين قائلا: " نعم لدينا علاقات جيدة مع المدرسة مبنية على الاحترام حيث أذهب إليها من أجل التحدث مع مدير المؤسسة ومع الأساتذة حول سلوك التلميذ ومستواه الدراسي ولكي أطمئن عليهم لتفادي بعض الآفات الاجتماعية المحيطة بالوسط المدرسي وكذلك من أجل مراقبتهم لكي يحسوا بذلك ويدركوا بأن الآباء يهتمون بدراساتهم وبالتالي سوف ينضبطون أكثر في دراستهم."

الآباء الذين لديهم علاقات جيدة مع المدرسة هم عادة لديهم أبناء لا يعانون من مشاكل بيداغوجية أو أخلاقية كما أنهم يتصلون بالمدرسة بصفة منتظمة مما يجعلهم قريبين من أبنائهم. في حين توجد فئة من الأولياء ليس لديهم علاقات متينة مع المدرسة بل هي علاقات طبيعية بسيطة وفي بعض الأحيان متذبذبة مرتبطة بنتائج التلميذ حيث كلما كانت النتائج جيدة كلما تكون علاقات الأولياء بالمدرسة أحسن والعكس صحيح (بنغريط رمعون، 1998). لكن ما لفت انتباهنا بعد تحليل اجابات المبحوثين أن معظمهم لا يتصلون بالمدرسة بصفة منتظمة ومستمرة بل كانت زيارتهم متذبذبة وفي بعض المناسبات فقط والأم هي التي تقوم بزيارة الأبناء في المدرسة أكثر من الأب وهذا ما أكده العديد من الأولياء الذين تم استجوابهم: " أنا لا أقوم بزيارات منتظمة للمدرسة بسبب العمل بل زوجتي هي التي تسهر على متابعتهم في المدرسة لأنها تعمل في نفس المؤسسة التي يتواجد فيها التلميذ. لدينا ثقة في الأساتذة وهم أصدقاء إذن هناك اطمئنان كبير في هذا الجانب ولا ينقصهم أي شيء."

ربما يمكن تفسير تصرفات بعض الأولياء الذين لا يتصلون دائما بالمدرسة بأنهم لديهم طريقة خاصة في متابعة أبنائهم من الناحية الدراسية فهم بالتالي لا يرون الفائدة من الإكثار من الاتصال بالمدرسة خصوصا إذا كان الأولياء يعملون وليس لديهم الوقت الكافي للقيام بذلك. إن علاقة الأسرة بالمدرسة عند هذه العائلات تنمو وتتطور في إطار عدم القدرة واللامبالاة في نفس الوقت حيث تظهر هذه الأسر في بعض الأحيان ضحية وفي بعض الأحيان متورطة أمام عدم قدرتها في الخوض في الرهان المدرسي (ترجمة عن: Boutefnouchet. 1980).

في حين سجلنا القليل فقط من الآباء يقومون بالزيارات إلى المدرسة بصفة مستمرة من أجل الاطمئنان على سير تدرس أبنائهم والسؤال عنهم وعن الصعوبات الدراسية والاستفسار عن نتائجهم الدراسية مثلما

نراه في هذا التصريح لأحد الأولياء: " أقوم بزيارة المدرسة حوالي مرتين في الأسبوع خاصة في الفصل الثاني حيث أتحقق أولا كشف النقاط ثم أحاول أن أتصل بالأساتذة الذين يدرسون المواد التي يعاني منها ابني من نقائص. أقوم بهذا لهدف نجاح أبنني في دراسته ولكي يشعر بأن الآباء وراء كل صغيرة وكبيرة فالأساتذة عندما يلاحظون بأننا نتصل بالمدرسة سوف يحترمونا ويهتمون أكثر بالتلاميذ."

هؤلاء الأولياء يعطون أهمية كبيرة للمدرسة ويعتبرون الاتصالات التي يقومون بها كطريقة لمتابعة الأبناء دراسيا ووسيلة لتحقيق الأهداف التربوية للأسرة من خلال مختلف الاستراتيجيات والممارسات التي تقومون بها أثناء اتصالهم بالمؤسسة التربوية. كذلك من بين المؤشرات التي نستطيع من خلالها تفسير التفاعل بين الأسرة بالمدرسة هي علاقة الأولياء بالأساتذة، فقد صرح الأغلبية منهم بوجود علاقات طبيعية مع الأساتذة حيث وصفوها في بعض الأحيان بالجيده تتميز بالاحترام المتبادل كما صرح به أحد الأولياء:

" لا يوجد أي مشكل مع الأساتذة حيث يتم استقبالي بطريقة عادية وأنا بدوري أحترمهم كثيرا. علاقتنا مبنية على الاحترام وأقدم نفسي في كل مرة وأستمع لما يقوله عن الابن ثم نتناقش حول أخلاقه وانضباطه في الدراسة. الحمد لله كل الأساتذة يتكلمون عن أبنائي ويعتبرونهم كقدوة للآخرين وأنا بدوري أنصحهم باحترام الاساتذة والتواضع والاجتهاد في الدراسة من أجل بلوغ النجاح في الحياة."

هذا النوع من الأولياء يتعاونون كثيرا مع الأساتذة لأنهم يتصلون بالمدرسة ويعرفون ماذا يحدث فيها لأنهم يدكون أهمية حضورهم إلى المدرسة بالنسبة للتلميذ وحتى بالنسبة للأساتذة حيث كلما كان الأولياء أكثر اتصالا بالمدرسة كلما يزيدهم احتراماً من قبل الأساتذة حتى في حالة حصول الابن على نتائج سيئة وهذا ما يزيد من تقوية العلاقة وربما يستطيع التلميذ بفضل تعاون أسرته مع الأساتذة بأن يتجاوز الصعوبات الدراسية التي يعاني منها. أحد الأولياء صرح قائلا: " الأساتذة يفرحون عندما نتصل بالمدرسة لأن ذلك يساعدهم لمعرفة التلميذ ويجفزههم لكي يعملون بجهد اضافي. عندما نتحدث معهم يقولون لنا بأن أبنائكم يتواجدون داخل المؤسسة فهم ليس ملك لكم بل هم تحت رعايتنا، لكن يجب أن تساعدونا كثيرا في المنزل. لكن للأسف العديد من الآباء لا يتعاونون مع المدرسة حيث يتهربون من مسؤولياتهم أمام تلميذهم أبنائهم."

الأولياء الذين يتصلون بالمدرسة لغرض إجراء حوارات مع الأساتذة شيء مهم جدا بالنسبة للتلميذ حيث لا يمكن للأستاذ أن يعرف جيدا التلميذ بدون الاستماع لأراء الآباء حول شخصيته وقدراته العقلية وصعوباته (ترجمة عن : Duru-Bellat, & Van Zantan, 2002). كما أن الأولياء عندما يستمعون للأساتذة يستطيعون معرفة نقاط الضعف لدى التلميذ وبالتالي يقدمون بمعالجتها. لا يجب أن ننسى بأن العلاقات بين الأولياء والأساتذة ليست دائما جيدة بل تكون في بعض الأحيان متوترة والسبب في ذلك حسب الأولياء هو رفض الأساتذة التحدث معهم بحجة أن الآباء يدافعون كثيرا على أبنائهم بدون أن يعرفوا ماذا يحصل في الوسط المدرسي. العديد من الأمور اذن تنقص علاقة الأسرة بالمدرسة لأن المشروع المدرسي يحتاج إلى مشاركة كل الفاعلين التربويين كشركاء لخدمة مصلحة التلميذ لاسيما أن الأولياء يلعبون دورا أساسيا في عملية الشراكة من خلال مشاركتهم الفعلية في القرارات التي تتخذها المدرسة في شأن التلاميذ. إن تدخل الأولياء على المستوى المدرسي هو الذي يجعل هناك ثقة متبادلة بين الأسرة والمدرسة وعلى هذه الأخيرة أن تقوم بتوفير جو مناسب لأولياء للمشاركة في النشاطات التي تنظمها وخاصة إشراكهم في بعض القرارات وهم بدورهم يظهرون استعدادهم ليس بالأقوال فقط بل بواسطة الأفعال كذلك (دمنهوري، 1995).

2- هل الأولياء يشاركون في مختلف النشاطات التي تنظمها المدرسة؟

لدراسة علاقة الأسرة بالمدرسة لا بد من تسليط الضوء على مدى مشاركة الأولياء في النشاطات التي تنظمها المدرسة الذي يكشف لنا درجة مساهمة وانخراط الأسرة في العمل المدرسي ومدى اهتمامها بالأبناء من الناحية الدراسية. نريد أن نعرف من خلال تحليلنا لهذا الموضوع، هل الأولياء يشاركون في النشاطات التي تقوم بها المدرسة؟ لماذا وكيف يحدث ذلك؟ كل هذه الأسئلة سوف نحاول الاجابة عليها من خلال النتائج التي تحصلنا عليها في الميدان. أول ملاحظة يمكن ذكرها أن الأولياء انقسموا إلى فئتين فيما يخص موضوع مشاركتهم في النشاطات التربوية الموجودة في المدرسة. الفئة الأولى تشمل مجموعة من الأولياء وهم أقلية يشاركون بقوة في نشاطات المدرسة من خلال التعاون معها عن طريق جمعية أولياء التلاميذ حيث يحضرون إليها في كل مناسبة مهما كان نوعها سواء لغرض استلام كشف النقاط أو تنظيم حفلة نهاية السنة الدراسية أو تنظيم رحلة إلى مكان معين مثلما نراه في هذا التصريح لأحد الأولياء:

" نعم...نحن نشارك بقوة في كل ما تنظمه المدرسة سواء كانت رحلة أو حفلة نهاية السنة أو في مناسبة معينة بشرط أن يكون ذلك في صالح التلميذ لأن ذلك من واجبننا كأولياء. أتذكر في يوم من الأيام قمت بتقديم التلفاز للمدرسة لكي يقومون بنشاط لفائدة التلاميذ وكنت سعيدا لأنني شاركت فيما تقوم به المدرسة إذن انا مستعد لمساعدتها والاستجابة لطلباتها ماديا أو معنويا."

هذا الالتزام والحماس القوي الذي عبر عليه بعض الأولياء يدل على مدى وعيهم بأهمية المشاركة في نشاطات المدرسة الذي يزيد من اهتمام التلميذ بدراسته ويجفزه أكثر في مشواره الدراسي. هؤلاء الأولياء ينطبق فعلا عليهم اسم أولياء التلاميذ حيث يستجيبون لمتطلبات المدرسة وكانوا في مستوى انتظاراتها فهم يشاركون بقوة في العمل المدرسي وهم عادة منخرطين في جمعية أولياء التلاميذ، حيث لديهم الخبرة في التعامل مع المدرسة ويشاركون في تنظيم مختلف النشاطات وهم على أتم الاستعداد للتعاون معها بواسطة اقتراح مشاريع لهدف تحسين ظروف التمدريس لأبنائهم وهذا ما صرح به أحد المبحوثين قائلا:

" نعم...هناك مشاريع نتكلم عليها خلال اجتماع الاولياء وقمت باقتراح فتح نادي صغير لفائدة التلاميذ داخل المؤسسة التربوية لهدف تنشيط مناخ المؤسسة وتحفيز التلاميذ للإبداع وممارسة الرياضة والموسيقى والفنون الأخرى. أنا مستعد للعمل من أجل تحسين ظروف تمدريس التلاميذ ويمكن حتى الاستعانة بشبكة العلاقات التي أملكها بصفتي نائبة بالمجلس الشعبي الولائي من أجل خدمة المدرسة."

هذه الفئة من الأولياء ترى بأن مشاركتهم في نشاطات المدرسة مهم لنجاح التلميذ ولكن للأسف لا تمثل سوى الأقلية. يمكن للأولياء أن يشاركوا في النشاط المدرسي وفي سير المدرسة عن طريق جمعية أولياء التلاميذ التي من المفروض تمثل كل الشرائح الاجتماعية التي تقصد المدرسة وهي وسيلة لترسيخ التعاون وتوطيد العلاقة بين الأسرة والمدرسة (شبل، 2000). أما الفئة الثانية تشمل مجموعة من الأولياء يمثلون الأغلبية حيث لا يبالون تماما بالنشاطات التي تنظمها المدرسة ولا يشاركون فيها إلا نادرا بحجة أن الإدارة المدرسية لم توجه لهم الدعوة لذلك أو بحجة أن هذه النشاطات غير موجودة في الواقع كما صرح أحد المبحوثين: " في الحقيقة لا أشارك في نشاطات المدرسة لأن الإدارة أو جمعية الاولياء لم تقدم لي أي دعوة بخصوص هذا الجانب وحسب ما أرى ليس هناك نشاطات ترفيهية لكي يشارك فيها الاولياء فهي ناقصة جدا وحتى المشاريع المستقبلية للأسف غائبة تماما في مدارسنا ولكن رغم هذا فنحن مستعدين للمشاركة وتقديم الاقتراحات." هذه الفئة من الأولياء يحضرون فقط في بعض المناسبات ولا ينخرطون في أعمال

المدرسة لأنهم غير مسلحين بنفس الحماس الذي تملكه الفئة الأولى حيث ينتظرون فقط دعوة المدرسة ولكن لا يأخذون المبادرة في تنظيم النشاطات ربما لأنهم لا يعتبرون ذلك ضروري للتلميذ. في حين أرجع البعض منهم السبب في عدم اهتمامهم بهذه النشاطات إلى انعدام الوقت بسبب العمل مثلما نلاحظه في هذا التصريح:

" بصراحة أنا لا اشارك في نشاطات المدرسة إلا في حالة استدعائي من طرف جمعية الأولياء لحضور اجتماع أو حضور حفلة نهاية السنة. كما أن المدرسة لم تطلب مني ذلك وأنا بدوري لم أبحث في هذا الأمر خاصة وأني لا أملك الوقت ولا يمكن أن أترك عملي من أجل هذه النشاطات إلا في حالة قصوى. لكن إذا تعذر علي الذهاب سوف أسأل أصدقائي عن ما حدث داخل المؤسسة."

هذا النوع من الأولياء لا يسمحون في حقهم من أجل أبنائهم حيث لا يضحون بوقتهم من أجل راحة التلميذ داخل المدرسة بل الأغلبية منهم يعتقدون بأن دورهم ينتهي بمجرد دخول التلميذ إلى المدرسة ونجدهم عادة ينهمكون في عملهم أو في التجارة ولا يخصصون وقتا لمتابعة الأبناء في دراستهم ولا يدركون أهمية اتصالهم بالمدرسة. وبالتالي نراهم عادة في نهاية السنة الدراسية يُحمّلون الأساتذة والمراقبين مسؤولية إخفاء أبنائهم في الدراسة أو إقصائهم. إن مشروع التعاون بين الأسرة والمدرسة في هذه الحالة يكون غائبا وهذا ما لحضناه في الواقع بسبب نقص المشاريع التي تقوي علاقة الأسرة بالمدرسة والسبب يعود إلى غياب المبادرة من طرف المشرفين على قطاع التربية أو على مستوى المدرسة أو من طرف الأولياء لأن الواقع يدل على أن نسبة مشاركتهم في جمعية الأولياء قليلة جدا ومحتشمة مما يدل على أن مشاركتهم في النشاطات المدرسية يبقى كذلك ضعيفا حيث أن الأغلبية منهم لا يعرفون طريقة سير المدرسة ولا يملكون معلومات كثيرة عنها. يمكن تفسير هذه اللامبالاة من قبل الأولياء إلى غياب تقاليد وثقافة التعاون المشترك بين الاسرة والمدرسة ليس في منطقة بجاية فحسب ولكن هذه الذهنية نجدها في المجتمع الجزائري (ترجمة عن : Benali. 2004)

3- مكانة المدرسة العمومية عند الأسرة ومدى اهتمام هذه الاخيرة بتعليم الأبناء

نريد من خلال هذا الموضوع أن نبرز نظرة الأسرة في منطقة بجاية إلى المدرسة العمومية وما هي مكانتها الحقيقية في تصورات الأولياء وهل مازالت المدرسة تستقطب اهتمام العائلات كوسيلة لتحقيق الارتقاء

الاجتماعي. أول ملاحظة لفتت انتباهنا بعد تحليل خطاب الباحثين أن الأغلبية منهم يعطون قيمة وأهمية كبيرة للمدرسة العمومية ويعتبرونها مؤسسة للتنشئة الاجتماعية من حيث وظيفتها التربوية والتعليمية التي تقوم بها وهي مهمة حياة الطفل حيث تعطي له فرصة للتعلم والاندماج وكسب شخصيته وتسمح له بتطوير قدراته العلمية والفكرية كما يوضحه أحد الأولياء في هذا التصريح:

" المدرسة تعني بالنسبة إلينا أولا التربية والمعرفة وقيمتها كبيرة جدا في أسرنا. أنا أشرح دائما لأبنائي الفرق بين الانسان المتعلم وغير المتعلم فالتلميذ عندما يترك مقاعد الدراسة في سن مبكر ليس مثل التلميذ الذي يذهب بعيدا في دراسته. المدرسة مهمة جدا للفرد حيث تجمع بين التربية والثقافة والمعرفة ولا يمكن في أي حال من الأحوال الاستغناء عليها."

ينطبق هذا التصريح تقريبا على أغلب اجابات الباحثين بخصوص نظرتهم للمدرسة الجزائرية. العديد من الآباء لديهم نظرة ايجابية نحوها رغم النقائص التي تعاني منها ولديهم ثقة كبيرة فيها ويعتمدون عليها كثيرا لتحقيق النجاح. العلم والتربية أساس تطور المجتمع- المدرسة تعني مستقبل الأبناء والبلد بكامله - المدرسة هي السبيل الوحيد لبلوغ النجاح. كل هذه الجمل تكررت كثيرا في اجابات الباحثين مما يدل على ارتباطهم بالمدرسة مثلما يوضحه أحد الآباء: " أنا ضد فكرة توبيخ المدرسة العمومية ولا يمكن تطويرها بتلك الخطابات السلبية فهناك من يعمل بجدية ولديه الضمير المهني ولا يجب تعميم الممارسات غير الأخلاقية في محيط المدرسة. التعليم هو أساس تقدم وتطور الامة وبصفتي شخص غير متعلم أراها كالتور الذي يمد شعاعه نحونا لأنني أعرف قيمة العلم والمعرفة في الحياة."

كنا نعتقد في بداية الأمر بأن الاهتمام بالمدرسة يخص فقط الأسر التي تنتمي إلى الطبقات الراقية والميسورة ثقافيا أين ربما تكون فيها تقاليد المتابعة كبيرة، لكن لاحظنا بعد الدراسة الميدانية أن الاهتمام بالمدرسة نجده قويا لدى الأسر الشعبية البسيطة التي لها نظرة جيدة للمدرسة حيث أن الآباء لا ينتقدونها كثيرا بل يقدسونها لأنها ربما وسيلة للتخلص من الظروف الصعبة التي يعيشونها وبالتالي يستثمرون في تدرس أبنائهم من أجل الارتقاء إلى مرتبة اجتماعية أحسن (ترجمة عن: Boukhobza, 1989). الاستنتاج الثاني الذي توصلنا إليه هو أن صورة المدرسة مازالت قوية في أذهان الاشخاص ويعلقون آمالا كبيرة عليها وهم مقتنعين بما تقدمه لأبنائهم من حيث التكوين ولديهم انتظارات قوية بخصوص المستقبل حيث ينظرون إليها بأنها قادرة على تكوين الأجيال مثلما نلاحظه في هذا التصريح: " نعم...أعتمد على المدرسة

العمومية بنسبة 100% لأن الفرد إذا تعلم لا يجد صعوبة في أي شيء في حياته وباستطاعته فهم الأمور بسهولة وبسرعة لأن العلم هو أساس نجاح الأمة. أنظر إلى البلدان القوية كلها تقدمت بفضل التقدم التكنولوجي والعلمي. أعتقد بأن المرور بالمدرسة أمر حتمي لتحقيق النجاح نحن في أسرنا نعلم كثيرا على المدرسة ونعلق عليها آمالا كبيرة من أجل مستقبل أبنائنا.

هذه الفئة من الأولياء لم تتأثر بالنظرة السلبية تجاه المدرسة بل بالعكس، الأولياء يدافعون عليها ويعتبرونها السبيل الوحيد لتحقيق الارتقاء الاجتماعي. هذا الارتباط الشديد بالمدرسة جعل الأسرة تتراجع عن بعض قيمها التقليدية وأصبحت تقدم تضحيات كبيرة خاصة الثقافية منها مثل السماح للبنات بمواصلة الدراسة خارج القرية وتفضيل مواصلة الدراسة عن مشروع الزواج ومساعدة الأبناء للذهاب بعيدا في دراستهم خارج الوطن. أما بالنسبة لبعض الأولياء وهم يمثلون الأقلية، لا يعتمدون على المدرسة ولا يعلقون آمالا كبيرة عليها حيث يعتبرونها غير كافية لتحقيق النجاح وصرحوا بأنهم يفضلون طرق أخرى لتحقيق النجاح لأبنائهم دون المرور بالمدرسة مثل ممارسة التجارة: " نحن لا نعلق آمالا كبيرة على المدرسة لأن الأمور تغيرت الآن حيث أصبح نجاح الفرد لا يتوقف على المدرسة فقط بل هناك عدة عوامل وطرق أخرى للنجاح وهذا ما لاحظته أنا شخصيا في أبنائي حيث أن دراستهم لم تنفعهم في حياتهم وأنجحوا للتجارة وحققوا مستقبلهم ولا ينقصهم أي شيء."

المدرسة والتعليم بالنسبة لهذه الفئة من الأولياء لا تدخل في حساباتهم ولا يهتمون بها وهذا ما يفسر استقالة البعض منهم من أدوارهم تجاه الأبناء. كما أن السبب الذي جعل الأولياء لا يعتمدون كثيرا على المدرسة، حسب أعتقادهم، كون هذه الأخيرة لا تلعب دورها كما ينبغي وحتى الأساتذة لا يقدمون تضحيات في مهنتهم لصالح التلاميذ مقارنة بالماضي. وهذا ما تطرق إليه أحد الأولياء وهو يتكلم عن اللامبالاة قائلا: " هناك لامبالاة كبيرة من طرفهم تجاه المدرسة والدليل على ذلك عدم حضورهم إليها إلا لأخذ كشوف نقاط أبنائهم ولا يهتمون بأبنائهم دراسيا لأن هناك صورة سلبية صنعها بعض الناس عن المدرسة ولم أفهم هذه الفئة من الأولياء الذين ينتقدون بشدة المدرسة لكن يرسلون أبنائهم إليها."

يبدو أن المدرسة ليست من أولويات بعض العائلات، المهم بالنسبة إليها أن تبعث أبنائها للمدرسة لكن لا يصاحب ذلك اهتمام شديد وهي تبدو غير مستعدة للاهتمام بتعليم الأبناء وعامل اللامبالاة نلاحظه بقوة على مستوى العقلية الجزائرية ربما لأنها لديها تصور آخر للنجاح الاجتماعي أين تكون

المدرسة غائبة في حساباتهم وبالتالي هي مجرد دار للحضانة. إذا كانت المدرسة في مبدأها تعمل على اندماج الفرد في الحياة المهنية والاجتماعية فإنها بعيدة عن مبدأ الاستحقاق والجدارة الموجود في المجتمعات التي تعرف بالمساواة في التعليم (ترجمة عن: De Singly. 2010)، حيث أن الواقع في مجتمعاتنا يثبت شيئا آخرًا فإن الفرد يلتحق بمنصب العمل ليس حسب تخصصه وقدراته العلمية ومؤهلاته ولكن هناك عوامل أخرى غير موضوعية تتحكم أكثر في مستقبله على المستوى المهني والاجتماعي.

4- خطاب الأسرة حول المدرسة الحالية مقارنة بوضعها في الماضي

لكي نستطيع دراسة خطاب الأسرة حول المدرسة واستنتاج العوامل المؤثرة فيه كان لا بد علينا في البداية الاهتمام بتحليل آراء الأولياء حول المدرسة التي يدرس فيها أبنائهم وكيف ينظرون إليها مقارنة بالمدرسة التي عرفوها في السابق. بعد تحليل محتوى المقابلات التي أجريت مع الأولياء تبين لنا بأن الأغلبية منهم صرحوا بأن المدرسة في الماضي أحسن من المدرسة في الوقت الحالي مثلما نراه في هذا التصريح: "المدرسة في الماضي أحسن لأن التلاميذ لديهم الرغبة في الدراسة والحاجة إلى التعلم بشدة وكل الناس يمجّدون العلم وتحترم كثيرا الأساتذة ولا يوجد ما يلفت انتباهنا عن الدراسة رغم أن الامكانيات غير موجودة. بينما الآن ألاحظ بأن مستوى التلاميذ ضعيف وهو في تدهور مستمر لأن هذا الجيل لا يريد أن يتعب ولا يهتم بالميدان الدراسي بل يهتمون بالأشياء الجاهزة فقط."

من بين المبررات والأسباب التي ذكرها الآباء عندما تكلموا عن المدرسة الجزائرية في الماضي والتي جعلتهم يدافعون عليها هي أن الأساتذة كانوا أكثر عزيمة ونشاط وجدية وكانت المدرسة غير معربة وكان التعليم باللغة الفرنسية مما جعل نوعية التكوين جيدة والأقسام غير مكتظة. أما من الناحية الأخلاقية كان الأولياء حريصين على مراقبة سلوكيات أبنائهم وكانت العلاقة مع المدرسة جيدة يسودها الاحترام بين الأساتذة والأولياء: "المدرسة في السابق أحسن من حيث نوعية البرامج المقدمة فهي مرتبطة أكثر بالواقع. كان التعليم بسيط والمدرسة بعيدة عن الصراعات السياسية وعلى مستوى التكوين نجد الأساتذة في الماضي أحسن من حيث الأداء حيث كانوا أكثر عزيمة ونشاط وجدية وحماس مقارنة بما نلاحظه اليوم وبالتالي يكون المستوى بدون شك ليس نفسه خاصة وأن التعليم كان باللغة الفرنسية."

نفهم من خلال تصريحهم أن المدرسة في وقتهم كانت تمتاز ببعض الصفات الإيجابية لا نجدها في المدرسة الحالية خاصة من الناحية الاخلاقية والانضباط في الدراسة. عندما قمنا باستجواب الأولياء حول رأيهم في المدرسة الجزائرية كان رد فعلهم يتجه نحو انتقاد المدرسة الحالية وبالتالي حتى ممارساتهم التربوية تجاه الأبناء تتبع نفس التفكير، فهي مستوحاة من تجارب الأولياء الشخصية التي عاشها في المدرسة في الماضي. وبالتالي خطاباتهم ومثلاثهم حول المدرسة تتبع الذكريات التي عرفوها في الماضي: إذا كانت ذكريات جيدة ستكون نظرهم إلى المدرسة جيدة وإذا كانت ذكرياتهم سيئة ستكون نظرهم للمدرسة سيئة (ترجمة عن: Durning, 1995). كذلك من بين النقاط التي توصلنا إليها في الدراسة أن معظم الأولياء الذين دافعوا عن المدرسة التي عرفوها سابقا ينتقدون المدرسة الحالية ولكن لم يقدموا حلول أو بدائل للأزمات والمشاكل التي تعاني منها، فالأولياء الذين لا يهتمون بأبنائهم من الناحية الدراسية هم الذين يلغون اللوم على المدرسة على أساس أنها المسؤولة عن رسوب أبنائهم.

ربما هذه الآراء التي قدمها الأولياء بخصوص المدرسة كانت بسبب تدني مستواها نظرا للوضعية التي آلت إليها خاصة في الآونة الأخيرة وأزمته في العديد من الجوانب كانت وراء ظهور مواقف واتجاهات سلبية من طرف الأولياء. الكثير من الانتقادات وجهت للمدرسة حيث وصفها الآباء بالكارثة وأصبحت حقل للتجارب، أيضا البرامج المقدمة يطغى عليها الطابع الايديولوجي والسياسي وتعليم نظري غير مطابق للواقع المعيشي للتلميذ وكثرة البرامج حيث لا يجد التلميذ وقتا للراحة إلى جانب فساد محيط المدرسة بسبب سوء الأخلاق وعدم تعاون الأسرة مع المدرسة كما صرح أحد الآباء: "المدرسة الجزائرية هي منكوبة تعيش أزمة منذ زمن طويل ولا يكفي استيراد أنظمة تربوية وتطبيقها في الميدان أو اختبار الطرق والمناهج التربوية على التلاميذ بل يجب الاهتمام بالجانب التطبيقي ودعني أعطيك مثالا بسيطا عن مادة التربية المدنية التي يدرسون فيها التلاميذ أمور تتعلق بالمدينة والتحضر وعمل البلدية والولاية والدائرة دون أن تكون مبادرة لأخذهم لرؤية هذه المؤسسات في الميدان".

نستنتج من خلال دراسة آراء الأولياء في المدرسة أن هناك تعارض أو صراع بين فئتين من الأولياء كل فئة لديها طريقتها الخاصة في إنتاج خطاب ربما يحمل وراءه أهداف تحدم مصالحها. يظهر هذا الصراع بين الذين يدافعون عن المدرسة الحالية أي التي يدرس فيها أبنائهم مقارنة بالمدرسة التي عرفوها في السابق وبين الأولياء الذين يمجدون المدرسة في الماضي ويفضلونها على حساب المدرسة الحالية (ترجمة عن: Dubet).

1997). بالنسبة للنوع الأول من الأولياء ينظرون إلى المدرسة بأنها تطورت من حيث الامكانيات والمحتوى حيث أصبحت أكثر عصرة من المدرسة في السابق وبالتالي لديهم تصور متفائل بمستقبلها. بينما النوع الثاني ضد التوجه الجديد الذي ظهرت به المدرسة الذي يعتبرونه ظاهري فقط ولكن في الواقع لم يتغير أي شيء، بالعكس المستقبل أصبح غير مضمون بالنسبة للأبناء.

يعبر هذا الصراع كما وصفه علماء الاجتماع على وجود توجهين للمدرسة: الاتجاه الأول يؤمن بالتغيير والعصنة والتقدم والتفتح نحو العالم الخارجي بمزاياه وعيوبه الذي تمثله خاصة فئة الأولياء الذين يؤمنون بالفلسفة الليبرالية. والاتجاه الثاني تمثله بعض النخب التي تدافع عن الطابع المحافظ للمؤسسة التعليمية، وإبقاء الوضع كما هو خدمة لمصالح الطبقة المسيطرة على المدرسة (ترجمة عن: Thin, 1998). يمكن تشبيه هذا الاختلاف والتباين في الآراء حول المدرسة بما يحدث فعلا في المجتمع الجزائري من خلال وجود صراع بين فئتين من الأولياء فئة مفرنسة وأخرى معرّبة تحاول كل فئة من خلال خطابها وإيديولوجيتها أن تؤثر على المدرسة من خلال الأهداف التي تحملها. هذا الصراع هو في الحقيقة صراع بين مجتمعين (مجتمع الأصالة الذي تدافع عليه النخبة المعربة ومجتمع الحداثة الذي تدافع عليه النخبة المفرنسة). كل مجتمع لديه طريقته الخاصة في فرض سيطرته وأفكاره وهذا ما ظهر في قضية إصلاح المنظومة التربوية أين كثر النقاش واختلفت الآراء حول التوجه الذي يجب أن تسلكه المدرسة العمومية لتغيير وضعها ولمسايرة التطور.

5- تمثلات ومواقف الأولياء حول التربية والتعليم والعلم

نقصد بتمثلات الآباء كل ما يتعلق بآرائهم ومواقفهم في ميدان تدرّس أبنائهم وما ينتج عن ذلك من تصورات في أذهان الآباء والأبناء فيما يتعلق ببعض القضايا المرتبطة بالعلم والمعرفة والتربية والتعليم بصفة عامة. وأيضا كل ما يتعلق بالقيم الرمزية التي يحملونها في أذهانهم حول أهمية و مكانة التربية والتعليم والعلم والمعرفة في الأسرة في منطقة بجاية. سمحت لنا نتائج البحث بالتوصل إلى نتيجة واضحة أن تقريبا كل الأسر التي استجوبناها تعطي قيمة كبيرة للعلم والمعرفة وتحمل التربية مكانة عالية في تصوراتها رغم أن الأمر يختلف فيما يخص الممارسات. هناك وعي بأهمية التعليم والتكوين لدى الأسرة حيث تعتبر الاستثمار في تعليم الأبناء بمثابة الحل الوحيد من الخروج من الظروف التي تعيشها والارتقاء إلى مكانة أفضل. جاءت تصريحات الأولياء متشابهة جدا فيما بينها بخصوص القيمة المعطاة للعلم والمعرفة حيث

تصب كلها في نفس الفكرة أن العلم والمعرفة هما أساس النجاح في الحياة مثلما يؤكد هذا التصريح لأحد الأولياء: "أعتقد بأن العلم هو أساس كل شيء وحتى القرآن تحدث عن طلب العلم والمعرفة والله سبحانه وتعالى فضل العلماء على كافة الناس ووضع العلم في أعلى الدرجات وبالتالي لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. لا يمكن أبدا بناء جيل أو مجتمع متقدم بدون التربية والتعليم فهي أساس تطور الأمم وأنا أعتبر العلم والمعرفة مفتاح النجاح بالنسبة للأولاد وكذلك بالنسبة للأسرة والمجتمع." هذا الإيمان الكبير بالعلم والمعرفة الذي عبر عليه الأولياء يترجم حاجة الناس إلى طلب العلم واكتساب المعرفة خاصة في هذا الزمان الذي لا يجد فيه الانسان الأمي مكانه. فالأسرة تعمل كل ما في وسعها من أجل تعليم أبنائها حب المطالعة والبحث العلمي في عدة ميادين لأن كل المجتمعات أدركت قيمة العلم والمعرفة ودورها في التقدم العلمي والتكنولوجي (ترجمة عن: Meirieu, 2000). إذا كان الأولياء مثلا يقدسون العلم ويهتمون بالتعليم من خلال ممارساتهم وسلوكاتهم يكون خطابهم حول العلم إيجابيا مما يجعل التلميذ تدفعه نظرة إيجابية نحو العلم وفهم لغة ومنطق المدرسة.

يبدو أن الأسرة في منطقة بجاية تعطي قيمة للعلم لكن ممارساتها فيما يخص هذه المسألة تختلف من أسرة لأخرى وهذا تبعا للمستوى الثقافي والتعليمي للآباء. بعض الأسر تقدر العلم وتعطي قيمة للمعرفة لكن لا تعرف كيف تجعل التلميذ متحمسا للدراسة. عكس بعض الأسر التي يكون فيها الآباء متعلمين يحاولون عن طريق النقاش والحوار أن يجعلوا التلميذ أكثر تمسكا بأهمية العلم في النجاح في مستقبله. بعض الآباء يجعلون من تصوراتهم ومواقفهم طريقة أو تقنية خاصة لتحفيز الأبناء دراسيا رغم أنهم عاشوا تجارب غير ناجحة في المدرسة سابقا لكن بحكم الوضعية والمكانة الاجتماعية التي يتموقعون فيها بسبب عدم نجاحهم في المدرسة يتخذونها كطريقة لتحفيز التلميذ للذهاب بعيدا في دراسته من أجل تحقيق النجاح والارتقاء بالأسرة إلى مكانة أحسن عجز الأولياء الوصول إليها.

توجد علاقة مباشرة بين التمثلات والممارسات حيث نجد بعض التمثلات الخاصة بالآباء حول موضوع معين هي التي توجه ممارساتهم وأفعالهم بطريقة مباشرة (ترجمة عن: Kherroubi, 2008). في هذه الحالة تبدو الممارسات واضحة وبالتالي العلاقة بين المواقف والسلوكات يمكن تفسيرها بسهولة. مثلا تمثلات الآباء الايجابية حول المدرسة والاهتمام الذي يوليه الأولياء من الناحية التربوية والمدرسية لأنبائهم

وقدرتهم في توجيههم ونصحهم ومعاملتهم هو الذي يساعد التلميذ في النجاح في المدرسة. صرح بعض الآباء بأنه لا يجب ربط العلم والمعرفة بالمستقبل المهني فالعلم حتى إذا لم يسمح لصاحبه لإيجاد منصب عمل فإنه مهم بالنسبة لشخصيته. في دراسة قام بها مجموعة من الباحثين حول علاقة الأسر الشعبية بالعلم في الأوساط الاجتماعية غير المحظوظة تبين لهم بأنه عكس ما كان متوقعا، فالأهداف التي يرمي إليها الأولياء تتمثل في طلب العلم واكتساب المعرفة وليس من أجل الحصول على منصب عمل والدليل على ذلك هو تشجيع الأبناء على مواصلة الدراسة إلى أقصى حد ممكن. صرح بعض الأولياء أن العلم هو مفتاح المستقبل ولا يمكن الاستغناء عنه ويجب أن يدخل في تقاليد الأسرة لأن العلم يفرق بين الانسان المثقف والأمي والإنسان المتعلم أحسن بكثير من الانسان غير متعلم خاصة إذا كان متخلقا بالصفات والأخلاق الحميدة كما نراه في هذا التصريح لأحد المبحوثين: " التربية والتعليم هي القاعدة التي يبنى عليها كل شيء. التلميذ عندما يدرس في المدرسة يجب أن يخرج بتكوين معين يسمح له بإعطاء اضافة للمجتمع فتكوينه العلمي يجب أن يتماشى مع الاخلاق لكي لا يستخدم في أمور غير أخلاقية. لكن للأسف الكل يتكلم عن الأموال والمادة وهم نسوا بأن الأموال بدون علم لا تعني أي شيء."

الجملة الأخيرة من هذا التصريح تسمح لنا بفتح نافذة للتعبير عن ما هو موجود فعلا في مجتمعنا من خلال تأثير الأموال والمادة عن المعاملات بين الأشخاص حيث أصبحت الأموال والامتيازات المادية التي تحملها الأسرة جزءا من ثقافتها. رغم أن التعليم مازال يحتل مكانة راقية في ضمائر الأفراد إلا أن التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها المجتمع الجزائري لم تعد بعض الأسر تؤمن بالشهادة العلمية وأصبحت تعطي قيمة أكثر للمادة وطرق أخرى للربح السريع من خلال مثلا الاتجاه إلى ميدان التجارة وكسب الأموال. إن البحث ربما على مكانة اجتماعية أحسن في أسرع وقت عن طريق امتيازات مادية تتحول إلى امتيازات اجتماعية فيما بعد هو سبب هذا التصور الذي نبذه حاضرا بقوة في مجتمعنا. بعض هذه الأسر ربما قد فقدت ثققتها في المدرسة وهذا راجع إلى تراجع قيمة الشهادة العلمية اجتماعيا واقتصاديا والمرتبط بدوره بضعف مستوى التكوين العلمي للمتخرجين وظاهرة البطالة التي أثرت على قيمة ومكانة التربية والتعليم والمعرفة بصفة عامة.

الخاتمة: نحن ندرك بأن في الدراسات الكيفية مثل التي قمنا بها حول علاقة الأسرة بالمدرسة في منطقة بجاية لا يحق لنا تعميم نتائجها على باقي مناطق المجتمع الجزائري، لكن في نفس الوقت نحن نعلم بأن

الخصائص التربوية للأسرة في هذه المنطقة لا تختلف كثيرا عن مميزات الأسرة الجزائرية بصفة عامة. إن التحولات التي طرأت على الأسرة في مجتمعنا أفرزت أنماط جديدة في بنيتها استطاعت من خلالها أن تعيد إنتاج نفسها بمميزات جديدة تعبر عن وجود ممارسات تربوية تختلف عن تلك التي كانت سائدة في الماضي. هذه التغيرات أفرزت اهتمام بالغ بالتربية والتعليم وكانت وراء ظهور استراتيجيات جديدة سمحت للأولياء بتشكيل نظرة مغايرة للمدرسة تتجه نحو الاهتمام بها عكس ما كان متداولاً في الشارع.

سمحت لنا نتائج الدراسة بالقول أن الأسرة تعطي قيمة كبيرة للمدرسة ولديها نظرة إيجابية نحوها رغم النقائص التي تعاني منها. إن أغلب الأسر التي قمنا باستجوابها صرحت بوجود علاقات جيدة وقوية مع المدرسة. كما أن الصورة التي تشكلها الأسرة عن المدرسة وخطابها حول القضايا المتعلقة بالعلم والمعرفة يبدو أنها إيجابية على الأقل في ثلثات الآباء ولو أن الأمر يختلف على مستوى الممارسات التربوية في الواقع. يمكن القول كذلك أن المدرسة الجزائرية مازالت تستقطب اهتمام العائلات التي تعتبرها كوسيلة لتحقيق الارتقاء الاجتماعي حيث يظهر هذا الاهتمام من خلال الآمال العريضة التي تعلقها على المدرسة. إذن، عكس ما كان يقال عن الأسر البسيطة بأنها لا تولي أهمية لمتدريس أبنائها وأنها لا تستثمر في دراستهم، تبين لنا العكس حيث أنها عبرت عن طموحات كبيرة وأهداف متنوعة يصاحبه بتحديد قوي حول المشروع المدرسي. كما أن الآباء غيروا نظرتهم تجاه التربية والتعليم وأصبح لديهم تصورات جديدة للمشاريع المستقبلية التي يريدون تحقيقها عن طريق المدرسة. ربما يحدث ذلك بطريقة كامنة يدل على وعي الآباء بالرهان المدرسي وهم يدركون الدور الذي يلعبه الرأسمال المدرسي في تحديد قيمة الأشخاص والعائلات في الفضاء الاجتماعي.

نحن ندرك جيدا صعوبة ملاحظة الحياة اليومية للأسرة والأحداث الملموسة في الواقع كما يصعب فهم التفاعلات الموجودة بين الأسرة والمدرسة عن طريق تصريحات الأولياء فقط حيث لا يمكن لنا التأكد منها بسهولة، لأنه لا يوجد تطابق بين ما يصرح به الأولياء من خلال خطاباتهم وتمثلاتهم وما يفعلونه فعلا في الميدان من خلال أفعالهم وممارساتهم اليومية. يمكن القول في الأخير بأنه رغم أن الأسرة في منطقة بجاية ليس لديها تجربة كبيرة فيما يخص التعامل مع النسق المدرسي، إلا أنها تقوم بممارسات تربوية في الكثير من الأحيان عفوية تتحول في بعض الحالات إلى أفعال هادفة كلما صعدنا في السلم الاجتماعي للعائلات.

تحاول إذن الأسرة أن تبحث بصفة تدريجية عن سبل جديدة أكثر تكيفا مع الأوضاع الحالية لكي يتسنى لها أن تتموقع في ظل التغيرات الجديدة والتحديات التي تنتظرها في المستقبل.

قائمة المراجع:

- 1- أبو حوسة، موسى. (2001). *دراسات في علم الاجتماع الأسري*. الأردن: منشورات عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية.
- 2- أحمد السيد، سميرة. (1998). *علم اجتماع التربية*. القاهرة: دار الفكر العربي.
- 3- بنغريط - رمعون، نورية. (1998). *العلاقات بالمؤسسة المدرسية لدى تلاميذ القسم النهائي*، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية (إنسانيات). وهران: CRASC، عدد 6- ديسمبر.
- 4- حداب، مصطفى. (1998). *مكانة البكالوريا في عملية الحراك الاجتماعي*. المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجية والعلوم الاجتماعية "إنسانيات"، وهران: CRAS، عدد 6 - ديسمبر.
- 5- دمنهوري، رشاد صالح. (1995). *التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسي*. القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
- 6- شبل، بدران. (2000). *ديمقراطية التعليم في الفكر التربوي المعاصر*. القاهرة: دار القباء للنشر.

Référence:

- 7- ADDI, Houari. (1999). *Les mutations de la société Algérienne_: famille et lien social dans l'Algérie contemporaine*. Paris : la Découverte.
- 8- BENALI, Radjia. (2004). *Les pratiques éducatives des parents algériens : entre tradition et modernité*. Thèse de doctorat en Sciences de l'éducation, université Paris 10.
- 9- BOUKHOBZA, Mohamed. (1989). *Rupture et transformations sociales en Algérie*. Alger : OPU.
- 10- BOUTEFNOUCHET, Mustapha. (1980). *La famille Algérienne*. Alger : SNED.
- 11- DE SINGLY, François. (2010). *Sociologie de la famille contemporaine*. Paris : Armand Colin.

- 12- DUBET, François. (1997). *Ecole, familles : le malentendu*. Paris : Textuel.
- 13- DURNING, Paul. (1995). *Education familiale, acteurs, processus et enjeux*. Paris : PUF.
- 14- DURU-BELLAT, Marie. & VAN ZANTAN, Agnès. (2002). *Sociologie de l'école*. Paris : Armand Colin.
- 15- KHERROUBI, Martine. (2008). *Des parents dans l'école*. Paris : Erès.
- 16- MEIRIEU, Philippe. (2000). *L'école et les parents*. Paris : Plon.
- 17- PAILLE, Pierre. & MUCCHIELLI, Alex. (2008). *L'analyse qualitative en sciences sociales et humaines*. Paris : Armand Colin.
- 18- THIN, Daniel. (1998). *Quartiers populaires : l'école et les familles*. Lyon : PUF.

